مرتقى الوصول

إلى علم الأصول

للإمام العلامة الفقيه
محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي

المتوفى سنة ٨٢١ هـ

حقوق الطبع محفوظة

١٤١٥ هـ ـــ ١٩٩٤ م

نشر وتوزيع

دار البخاري للنشر والتوزيع

بريدة

ت : ٣٢٣٦٠١٧

فاكس: ٣٢٤٣٦١٨

المدينة المنورة

ت : ٨٤٧١٩٧١

فاكس: ٨٤٧١٩٧١

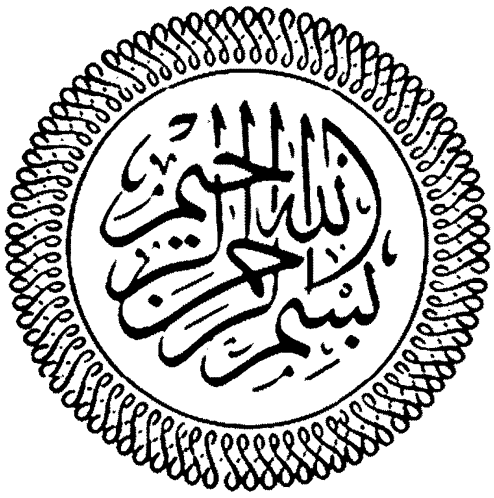
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد

فإن علم الأصول من العلوم المُنْتجة ، أي التي تنتج عقلاً ناضجاً ، وفكراً منظماً ، وذهناً منضبطاً ، عن طريق الالتزام بقواعد مهّدها الشرع ، وجاءت بها لغة العرب ، ودلّ عليها العقل الصحيح .

قال الغزالى رحمه الله « خير العلم ما ازدوج فيه العقل والسمع ، واصطحب فيه الرأي والشرع ، وأصول الفقه من هذا القبيل ، فإنه يأخذ من صفو العقل والشرع سواء السبيل ، فلا هو تصرف بمحض العقول ، بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول ، ولا هو مبني على التقليد ، الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد »[1] انتهى كلامه .

وهو علم يصقل الملكات ، ويشحذ الأذهان ، ويعدّ من آكد العلوم لمن رام التفقه في الشريعة ، والترقي في مدارجها .

قال الجويني «والوجه لكل متصدّ للإقلال بأعباء الشريعة أن يجعل الإحاطة بالأصول شوقه الآكد...»[2] انتهى كلامه.

---

(١) المستصفى ٣ . (٢) البحر المحيط ١ / ١٢ .

وكان من مناهج السلف المتقدمين في تحصيل العلم ، الاعتماد على الحفظ ، والاستناد على الضبط ، حتى صار لقب « الحافظ » من الألقاب الرفيعة ، ولاسيّما عند مشيخة الحديث رحمهم الله .

وهذا الاعتماد على الحفظ من أسباب منع الكتابة للحديث في أول الإسلام ، قال الخطيب البغدادي رحمه الله « وأمر الناس بحفظ السنن ، إذ الإسناد قريب ، والعهد غير بعيد ، ونهي عن الاتكال على الكتاب ، لأن ذلك يؤدي إلى اضطراب الحفظ حتى يكاد يبطل ، وإذا عدم الكتاب قوي لذلك الحفظ الذي يصحب الإنسان في كل مكان ... »(١)

وشواهد اعتماد السلف على الحفظ كثيرة جداً يتعسّر حدّها .

قال علي بن خشرم رحمه الله « كان إسحاق بن راهويه يملي سبعين ألف حديث حفظاً » .

وقال الشاعر :

علمي معي حيثما يمّمت يتبعني
بطني وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي
أو كنت في السوق كان العلم في السوق

---

(١) تقييد العلم ٥٨ .

ومن أجل هذا المعنى صنّف العلماء المتون ، واختصروا ألفاظها ، إذ الكلام يختصر ليحفظ ، ويُبسط ليفهم .

وزيادة على ذلك نظموا المتون ، على طريقة الشعر ، لأنه أسرع للحفظ ، وأبقى للمحفوظ ، وأسهل للاستحضار ، قال الصنعاني في بغية الآمل :

وقد نظمتُ ما حوى معناه
نظما يلذّ للذي يقراه
لأن حفظ النظم في الكلام
أسرع ما يعلق بالأفهام

وقال ابن عاصم الأندلسي :

وبعد فالعلم أجل معتنى
به وكلّ الخير منه يجتني
والنظم مُدنٍ منه كل ما قصى
مذلل من ممتطاه ما اعتصى
فهو من النثر لفهم أسبق
ومقتضاه بالنفوس أعلق

وقال النابغة القلّاوي :

وإنما رغبت في النظام
لأنه أحظى لدى المرام
وهو الذي تصغي له العقول
وسيف من حصّله مسلول

وإن من أحسن المتون في علم الأصول ، منظومة مرتقى الوصول للعلّامة محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي .

وقد قام الأخ محمد بن عمر سمّاعي بإخراج هذه المنظومة ، والاعتناء بها ، فكان جهداً مشكوراً ، وعملا حسنا ، نسأل الله تعالى أن يتقبله ، ويثيب صاحبه ، وقارئه ، والله المستعان ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه
مصطفى مخـدوم القــاري
المحاضر بكلية الشريعة
بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

بسم الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعدُ : فإنّ خير ما أُفْنِيَت فيه الأعمار ، وبُذلت فيه الجهود ، وسُخّرت لخدمته العقول وأُوقِظَتْ له الهممُ فهمُ كتاب الله وسنَّةِ رسوله– ﷺ – فهما مصدَرا كل خير ، ومَعينَا كل نفع ومَسْلَكَا النَجاة في الدّارين ، وكل علم يخدمهما من قريب أو بعيد ، أو يُقرِّب لمَا يخدمهما ، ويعين على تدبّرهما وفهمهما فهو جدير بأن يصرف له حظ من الوقت والجهد ، ويُشتغل به ويُعْتنى .

ويأتي في مقدمّة علوم الوسائل الخادمة لكتاب الله وسنةّ رسوله – ﷺ – عن كثبٍ وقُرْب خدمة مباشرة

علم أُصول الفقه ، هذا العلم الذي جمع في سلك نظامه قواعد الفهم الصّحيح والاستنباط القويم والنظر السديد في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - فهو معدن الاجتهاد وقَالبه ومن رامه بغيره فقد تعلّق بأصولٍ ذاوية وبنَى على قواعد واهية وما أجمل قول من قال : (من حُرِم الأصول حُرِم الوصول) .

ولمّا كان هذا العلم واسع الأطراف كثير الشُّجون تعيّن على طالبه أنْ يتدرّج في مسالكه ويتعرّف على أوّليات طريقه وذلك بتأصيل فهمه له على مختصرات جامعة لأساسيَّاته ومهمّاته يعكف عليها قراءة وفهماً وحفظاً فيُجيدها ويتقنها ثمّ يرتقى منها إلى ما هو أوْسع أفقاً وأبسط شَرْحاً وأكثر تفريعاً ، ومن أتى هذا العلم من غير هذا الطريق بعدت عليه الشقة وضَاقت نفسه به ذرعاً وخرج منه متذمِّراً آيساً وتحقّق فيه قول القائل (من طَلب العلم جملة تركه جُمْلَةً) .

ولقد عمد كثير من العلماء الجهابذة - رحمهم الله

تعالى – إلى الغوص في أعماق هذا العلم والخوض في غماره واستخرجوا دُرره وكنوزه الدَّفِينَة ، ثُم نظموها مُتُوناً ومختصرات في صور مُختلفة وأثوابٍ متغايرة تقريباً للمبتدي وتذكاراً للمنتهي .

وإنّ من الذين أبدعوا في نظم قواعد هذا العلم الغُرَر وأجادوا في عرضها وترتيبها وأفَادوا بما جاءوا به الإمام العلامة محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي المالكي في مختصرات عدّة منها هذه المنظومة التي نُقدّم لَهَا .

فمنظومته هذه من أبلغ وأجمع وأسهل ما نظم في أصول الفقه ، بل لا تكاد تضاهيها في يُسْر العبارة وسلاسة الأسلوب ووضوح التركيب مع الجمع للقَدْرِ المطلوب من هَذا العلم وقواعده في حدود اطّلاعي منظومة أُخرى وسَأُبَيِّن ذلك عند الكلام على المنظومة بعد الترجمة لناظمها .

النَّاظِمُ[1] : هو الإمام العالم الفقيه القاضي أبو بكر

---

(١) هذه التَّرجمة مجموعة من شرح التُّسُولي . وشرح التَّاودي على أرجوزة (تحفة الحكام) للنَّاظم .

محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي الغرناطي وُلد ثاني عشر جمادي الأولى من عام ٧٦٠ هـ ، وتوفي حادي عشر شوال عام ٨٢٩ هـ كان رحمه الله نحوياً بارعاً ، وأديباً سَلَفِيّاً وشَاعراً مطبوعاً مبرزاً في علمي البديع والبيان فاضِلاً مُتْقنا لعلم الفقه والقراءات مشاركاً في الأصول والحساب والفرائض مشاركة حسنة ، متقدّماً في الأدب نظماً ونثراً . من شيوخه الذين تلقّى عنهم العلم :

١ ــ ناصر السنة الأستاذ : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي .

٢ ــ والحافظ القاضي أبو عبد الله محمد بن علّاق .

٣ ــ والقاضي أبُو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النميري .

٤ ــ والإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني .

٥ ــ والأستاذ أبُو سعيد فرج بن قاسم بن لب .

٦ ــ والأستاذ أبو عبد الله القيجاطي .

٧ ــ خالاه محمد وأحمد ولدا أبي القاسم بن جزي .

٨ ــ والأستاذ أبو عبد الله محمد بن علي البُلنسي .

من آثاره العلمية :

١ ــ تُحفةُ الحكام في نكت العقود والأحكام : وهي أُرجوزة مطبوعة وعليها شروح كثيرة وعليها مدار القضاء بالأقطار المغربية لما هي عليه من حسن الأسلوب عند المالكية .

٢ ــ أرجوزة مَهْيَعُ الأصولِ في علم الأصولِ : وهي ألفيّة نظمها قبل المرتقى وقد أشار إليها عند تختيمه للمرتقى وبين أن المرتقى فاقت المهيع بكونها خاصة بعلم الأصول وقواعده لم يُدخل فيها غيره من الفنون كاللغة والمنطق إلا يسيراً من مقدّمات ، ومنظومة مهيع الأصول تُوجد منها نسخة على الميكروفيلم بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية تحت رقم (٤٠٨١) والموجود منها ما يُقارب نصفها فقط .

٣ ــ « مُرتقى الوصُول إلى علم الأصول » وهي هذه الأرجوزة التي نقدم لها .

٤ ــ « نيل المني في اختصار الموافقات » .

٥ ــ وأرجوزة إيضاح المعاني في قراءة الثماني ، وغير ذلك .

المنظومة : تُعتبر منظومة المرتقى من أجْود ما نُظم في

بابها وأبدع ما كُتب في فنّها وذلك :

١ ــ لمكانة ناظمها العلمية فهو أحد أنجم هذا الفن لاسيما وقد أخذه عن فارسه المشهور الذي نال منه الحظ الموفور الإمام العلامة : أبي إسحاق الشاطبي . ولذلك فإنّ المرتقى يُعتبر نَظْماً مُخْتصراً لبعض مسائل الموافقات ، وقد أحسن شارح المرتقى محمد فال الشَّنقيطي – رحمه الله تعالى – في ربط الأبيات ربْطاً مباشراً بأقوال الشاطبي في الموافقات فكانت بمثابة العناوين الرئيسية لها . وبعمل أدنى مقارنة بين الموافقات ومنظومة مرتقى الوصول تُرى قوة الرابطة بين المُصَنَّفيْن وقرب الوَشيجةِ بينهما .

٢ ــ ولسهولة الاستفادة منها لحسن نظمها وعظم قدر فائدتها وإتيانها على أهم مسائل الأصول بعيدة عن التعقيدات المملّة والتعمّقات المبالغ فيها والتى قد لا ينبني عليها كَبيرُ فائدة أو عظيم جدوى .

كُلُّ ذلك في أسلُوب رفيع ، وتعبير رَصِينٍ خالٍ من التّعقيد والتغريب وساعد النَّاظمَ في ذلك ما أُوتيَه من

ملكة بيانية وقدرة لغوية وتمكّن من أزمّة الكلام نَثْراً وشعراً .

٣ ــ ولحسن الخطّة التي مشى عليها الناظم في عرض قواعد هذا العلم وسلامتها من التداخل والخلط الذي قد يكون عائقاً كبيراً أمام تحقيق المراد من الكتابة في هذا الفن حيث بَدَأ أوّلا بالكلام على مُدركات العقل ومراتب المعرفة ومنها انتقل إلى الكلام على الدليل وقَسَّمه إلى حسِّي وعقلي ومركب منْهما باعتبار وإلى نقلي وعقلي باعتبار آخر .

ثم انتقل إلى مباحث لغوية لا غنى عنها في فهم النُّصوص ، منتقلا منها إلى الكلام على الأحكام وأقسامها وما يتعلّق بها من مسائل وما تتوقّف عليه الأحكام من الأسباب والشروط والموانع وقَسّمها تقسيماًبديعاً في حسن تمثيل ، ومتى تعتبر من جهة الوضع أو جهة التكليف، وما يوصف به فعل المكلَّف من الصحّة والبطلان والأداء والقضاء والعزائم والرُّخص .

ثُمّ بعد ذلك عَقَدَ فصْلاً خاصاً بمقاصد الشريعة

والتكليف وشروطه وأنواع الحقوق وأفعال المكلّف .

وبعد هذه المقدّمات تكلّم على أدلّة الشرع الرئيسية وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس وما يتعلّق بهـا .

ثُمَّ عقد مباحث للكلام على الأدلّة المختلف فيها كالاستصلاح والاستدلال وأنواعـه والاستقـراء والاستحسان والعرف وسدّ الذرائع وشرع من قبلنا .

وأخيراً تحدّث عن الاجتهاد : تعريفه وشروطه والتصويب والتّخطئة والتقليد والإفتاء والترجيح وأسباب الخلاف .

ولقد كان القصدُ من الاعتناء بهذه المنظومة هو محاولة إخراجها من عالم المخطوطات إلى عالم المطبُوعات حتى يتسنَّى لطالب هذا الفن الحصول عليها والاستفادة من جواهرها وكنوزها وذلك بعد تصحيحها وضبط ما يحتاج إلى ضبط ، وتكميلا للفائدة أَثْبتُّ الفوارقَ الموجودة بين النُّسخ المتوفرة عندي على هوامش المنظومة ، وما جزمت بكونه خطأً تركته دون الإشارة إليه .

هذا ولا أدّعى أنني بلغت الكمال فيما صنعته وإنَّما هي محاولة من مقرٍ بتقصيره وعجزه فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي الأمارة بالسوء ومن الشَّيطان .

كتبه بالمدينة النبوية

محمد بن عمر سماعي الجزائري

سـنة ١٤١٣ هـ .

النُّسـخ المُعتَمـدَة :

وقد اعتمدت في ضَبط أبيات هذهِ المنظومة على ثلاث نسخ :

الأولى : ورَمزت لها بالرمز (ك) مخطوطة بخطّ مغربي جميل كتبها محمد الحسن بن أحمد البدوي بمكة المكرمة سنة ١٣٢٨ هـ ولم يذكر النُّسخة التي كتَبَ عنها ، وإنّما ذكر أنّه كتبها لأخيه في الله العلَّامة محمد حبيب الله بن مايابيَ الذي كتب عليها بخطّه (قد ختمت هذا النّظم المبارك السّلس بباب السّلام من المسجد الحرام بالتدريس مع التّحقيق والتدقيق فللّه الحمد على ذلك وغيره من وافر إنعامه)

الثانية : وهذه النُّسخة عبارة عن شرح للمرتقى للشيخ علامة زمانه يحيى الولاتي – رحمه الله تعالى – بعنوان (بلوغ السول وحصول المأمول من مرتقى الوصول) وكان فراغه منه سنة ١٢٩١ هـ وقد طُبع هذا الشّرح مع كتاب (فتح الودود شرح مراقي السعود) لنفس المؤلف ؛ بمطبعة فاس سنة ١٣٢٧ هـ والظاهر أن

محمد الحسن بن أحمد البَدَوي السابق ذكره فرّغ أبيات مخطوطته من هذه النسخة وذلك :

١ ــ لما بينهما من التّزامن : فإنّ الفارق الزمني بينهما سنة واحدة .

٢ ــ ولمَا بينهما من توافق في كثير من المواضع التي تختلف فيها عنهما النسخة الثالثة الآتي ذكرها ، ولِمَا بينهما من تتابع في جُلّ الأخطاء التي عثرت عليها من سقط وتصحيف .

٣ ــ ولإدراجه في بيت من أبيات المنظومة كلاماً مطابقاً لكلام الشارح المذكور وذلك عند قول الناظم :

وذاك حفظ الدّين ثُمّ العقل
والنفس والمال مَعاً والنَّسل

حيث كتب عَجُزَه محمد الحسن : و (ثالثها حفظ) النّفس (ورابعها حفظ) المال والكلام المدرج هو نفسه كلام « يحيى الولاتي » في شرحه للمرتقى .

ولذلك فإني اعتبرت النُّسختين نُسخة واحدة واكتفيت بالمقابلة بينَهما والاستفادة من ذلك في تحقيق

المُراد دون أنْ أُشير إلى نسخة فاس في هوامش المنظومة .

٣ ــ الثالثة ورمزت لها بالرمز (م) وهي أيضاً شرح للمرتقى ومؤلفه : « محمد فال بن بابه الشنقيطي » ، وقد قام طالبان بِالمعهد العالي للدراسات الشرعية والبحوث الإسلامية بنواقشوط بتحقيقه وذكرا في تقديمهما أنّهما اعتمدا على خمس نسخ خَطّيّة وهذا الشَرح لم يُطبع بعد ولا يزال مكتوباً بخط اليد ، غير أنّ المُحَقِّقَيْنِ فاتهما الاعتناء بضبط أبيات المنظومة وتصحيح ما وقع من أخطاء النّساخ فيها .

* * *